

في
التَّوْبِ الإِسْلَامِي
« ٤٧ »



السَّنة النَّبَوِيَّةُ والمَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ

تأليف
د. محمد عثمان

٤٧

فقه التنوير الإسلامي

السنة النبوية

والمعرفة الإنسانية

تأليف
د. محمد حمادة





السنة النبوية والمعرفة الإنسانية

د . محمد عمارة

داليا محمد إبراهيم

مايو ٢٠٠٠

٧٧٠٧ / ٢٠٠٠ م .

1 . S . B . N 977 - 14 - 1283 - 3

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت : ٣٣٠٢٨٧ / ١١ . (١٠ خطوط)

فاكس : ٢٩٦ - ٣٣ / ١١ .

١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

ت : ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢ .

فاكس : ٥٩٠٣٣٩٥ / ٢ . ص ب : ٩٦ الفجالة .

٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢ .

فاكس : ٣٤٦٢٥٧٦ / ٢ . ص ب : ٢٠ إمبابة .

اسم الكتاب

اسم المؤلف

أشراف عام

تاريخ النشر

رقم الإيداع

التوقيع الدولي

الناشر

المركز الرئيسي

مركز التوزيع

إدارة النشر

على مر تاريخ الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية ، نهضت السنة النبوية بدور المصدر الثانى من مصادر التشريع - إذ المصدر الأول هو القرآن الكريم ... وبهذا الاعتبار ، حظيت السنة باهتمامات فكرية وخدمات علمية ، سرت للأمة الاستفادة منها فى هذا الميدان ... ميدان التشريع ، والفقه ، والقانون .

كذلك ، حظيت السنة النبوية بجهود علمية متميزة - وربما غير مسبوقة فى الفكر الدينى والحضارى لدى الأمم الأخرى - بمبشرين التوثيق ... والإسناد ... والرواية ... والجرح والتعديل للرجال الذين رووها ودونوها ، حتى ليتمكن للحضارة الإسلامية أن تفتخر بالمنهج والتطبيقات التى تبلورت علماً شامخاً فى توثيق النصوص والمأثورات والمرويات ... وهو علم يمكن أن يتعدى حدود السنة إلى ميدان التاريخ ...

وإلى حد ما ، حظيت السنة النبوية بجهود علمية فى ميدان «الدراية» والكشف عن علل المتن ومقارنة المرويات ... وخاصة فى عرض الأحاديث على محكم القرآن الكريم ... وهى جهود تحتاج المزيد من المتابعات والإضافات ...

لكن هناك ميادين فى علوم السنة النبوية ، تحتاج إلى ريادات بحثية لأنها لا تزال يكرأ حتى الآن ... ومنها الكشف عن ما فى

السنة النبوية من مصادر للمعرفة الإنسانية ، وخاصة في ميدان السنن والقوانين الإلهية - سنن وقوانين المجتمع الدينى .. والتقدم والتراجع .. والتجديد والجمود .. والتهوض والانحطاط .. فإسلامية المعرفة الاجتماعية والإنسانية تستلزم النظر إلى السنة النبوية بهذا الاعتبار ، وبقدر ما تتزايد حاجات أمتنا إلى فقه التهضة ، والوعى بسنن الإقلاع الحضارى .. بقدر ما تتزايد حاجات العقل المسلم كي يدرك ما في السنة النبوية من كنوز في هذه الميادين

ولعل هذه الصفحات - التى تتناول طرفاً من مكانة السنة النبوية في المعرفة الإنسانية - أن تكون إضافة متواضعة لجهود حديثة - محدودة - .. وأن تعرى بالبحث الجاد والمعمق في هذه الميادين ..



فى مناهج الفكر ، السائدة والمؤثرة فى الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة - بشقيها الليبرالى والشمولى - وبسبب من النزعة المادية فى دراسة الواقع والتاريخ وتفسيرهما ، كانت السيادة للمناهج الوضعية التجريبية أكثر من غيرها ، بل ودون غيرها فى أغلب الميادين ..

فالإنسان بنظر هذه الحضارة هو الإنسان الدنيوى ، إنسان عالم الشهادة .. إنسان « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » .. وحتى عندما يتدين فإن ندينه يقف عند الطقوس ، فلا يعرف طريقه إلى تشكيل واقعه ونظريته للدنيا ومناهجه فى التفكير ..

وبسبب من سيادة هذه النزعة « الدنيوية - العلمانية » ، لم تعتمد مناهج الفكر الوضعى هذه سوى « الدنيا - العالم - المحسوس » مصدراً وحيداً للمعرفة الحقيقية والعلم الصحيح ، كما وقفت فى أدوات المعرفة عند الخواص دون سواها ، وقطعت فيما يشبه الإطلااق والتعميم ، بأن ما سوى المادة والمحسوس ، وما سوى الخواص - والعقل قوة من قواها - لا يمكن أن يثمر معرفة صادقة ولا علماً يقينياً ، وأقصى ما يبلغه هو إنتاج « الخيال » ..

والميتافيزيقا» التى إن أشبعت «الوجدان» فإنها لا ترقى إلى ما
تطمئن إليه «العقول» ! .

ولذلك المنطلق والموقف فى المذهبية الغربية كان انفراد «المنهج
التجريبى» لديها كالمنهج الوحيد القادر والصالح لأن يشرح المعارف
اليقينية التى تستحق احترام المفكرين والعلماء . . فلأن أصحاب
هذه النزعة قد احتزلوا عالم الإنسان إلى «عالم الشهادة» كان
اختزالهم مصادر المعرفة الصحيحة إلى الظواهر المادية دون غيرها ،
ومن ثم اختزالهم أدوات المعرفة فى الحواس . . تلك هى النزعة
السائدة والمؤثرة فى مناهج الفكر الغربى . . النزعة الوضعية
لأصحاب المنهج التجريبى . . .

أما المذهبية الإسلامية . ذات السيادة والتأثير فى مناهج الفكر
بالحضارة الإسلامية ، فإن لها فى هذه القضية موقفاً آخر مغايراً .

فالإنسان فى المنظور الإسلامى ليس دنيوياً فقط ، لأنه مخلوق
لله الواحد ، سبحانه وتعالى . وهو فى هذه الدنيا ليس موكولاً إلى
واقعة المحسوس وإلى حواسه وحدهما . لأنه فيها خليفة عن الله ،
سبحانه ، مكلف بإعمارها وفق بنود عهد وعقد الاستخلاف ،
وهذه الأمانة التى حملها هى الإبتلاء الذى سيحاسب عليه ،
بعد البعث فى يوم الدين . . .

إذاً ففى المنظور الإسلامى . ليست هذه الدنيا وليس عالم

الشهادة هذا هو العالم الوحيد الذى يؤمن بوجوده هذا الإنسان المسلم ، فقبله كان عالم البدء . . . وبعده يأتى عالم المصير . . . فليست المادة والمحسوسات هي وحدها مصدر المعرفة ، لأن عالمها ليس هو العالم الوحيد فى هذا الكون وهذا الوجود . . .

ولأن الإنسان هو واحد من مخلوقات الله ، التى تجل عن عد وحصر هذا الإنسان . . . وبسبب من مكانته الخاصة المميّزة ، والتميّزة بين سائر المخلوقات ؛ كانت رعاية الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان ، وهى التى تتخذ العديد من الصور ، وتسلك الكثير من الطرق والأساليب . . . ولما كان مصدر هذه الرعاية (الله سبحانه وتعالى) ، ليس مادة ، فلقد جعل لهذه الرعاية ، بما تتضمن من فكر وتوجيه وعلم وتعليم ، مصادر ووسائل غير تلك المادة المحسوسة التى تدركها حواس الإنسان . . . وهنا يأتى دور الرسائل السماوية فى مصادر المعرفة لدى المؤمنين بهذه الرسالات . . . فالوحي الإلهي - عبر الرسالات والرسول - هو مصدر - غير مادي - للمعرفة والعلم والفكر والتوجيه - فعالم الشهادة هو أحد عوالم هذا الكون ، وليس العالم الوحيد فيه . . . والحواس التى يدرك بها الإنسان معارف عالم الشهادة ، هى حواس إنسان مخلوق ، فهى إذن محدودة القدرات والأفاق ، إذا ما قيست بالقدرّة المطلقة والعلم الكلى والمحيط لمن خلق هذا الإنسان ورعاه . . . فإذا استقلت

(١) انظر كتابا (الغارة الخفية على الإسلام) مطبعة دار الرياء القاهرة سنة ١٩٩٨ م . وكتابا (الجديد فى الخطط الغربى تجاه المسلمين) مطبعة دار الرياء القاهرة سنة ١٩٩٧ م .

هذه القدرات الإنسانية بإدراك أمر فإنها لا تستقل بإدراك أمور .
ولذلك فلقد منَّ الله ، سبحانه وتعالى ، على هذا الإنسان ،
كمظهر من مظاهر رعايته له ، وبسبب من مكانته الخاصة بين
المخلوقات - إذ هو الذى نفخ الله فى طينته من روحه ، وحمل
دونها أمانة الاختيار والمسئولية والتكليف ، منَّ الله على هذا
الإنسان بأن يسر له مصادر للمعرفة ، وسبلاً لتحصيلها تنبج له علم
ما لا تُعَلِّمُهُ إياه ظواهر المادة فى عالم الشهادة المحسوس . .

إن الله لم يكله - فى المعرفة - إلى حواسه وحدها وإلى قدراته
بمفردها . . فكانت رسالات السماء مصادر للمعرفة لاتلغى المعارف
المحسوسة المشاهدة ، ولا تقلل من شأن أدوات إدراكها ، وإنما
تضيف إلى المعرفة الإنسانية معارف يقينية لا تشرها المادة
ولا تستقل بإدراكها الحواس ، لأنها معارف عوالم غير مادية ،
وإنباء عن مقادير من علم هذه العوالم ، تفضل بها على هذا
الإنسان عالم الغيب والشهادة ، وذلك حتى لا يظل هذا الإنسان
- المكون من الروح والجسد - معزول عن غذاء الروح وحبساً للمعارف
المادية دون سواها . كانت معارف هذه الرسالات السماوية :

● تأكيداً للمعارف العقلية الصادقة يُطمئنُ الإنسان العاقل على
صدق ما وصل إليه بعقله الإنساني ، عندما وصل ، ذاتياً إلى
تحسين الحسن وتقيح القبيح . .

● وتصحيحاً لأحكام وتصورات الحواس - ومنها العقل الإنساني

- التي لم تصادف الحق والصواب لنسبية قدرات هذه الحواس ومحدودية آفاقها . .

● وإعانة لهذا الإنسان على معرفة وإدراك المقادير الضرورية لترشيد مسيرته من المعارف والعلوم التي لا يستطيع عقله أن يستقل بإدراكها . .

● ودعوة له كي يفوض فيما لا تدركه حواسه ، مما سكنت هذه الرسائل عن تفصيل خبره من المعيبات ، ومن الأحكام التعبدية .
فهى إذا عوالم ومبادئ للمعرفة . . وهى أيضاً ، سبل متعددة لتحصيل المعارف اليقينية ، يؤمن بها الإنسان المسلم ، بحكم إيمانه الدينى ، وليس فقط عالم الشهادة ولا الحواس الإنسانية ، هى مصادر وأدوات المعرفة الحققة - كما فى « الوضعية - المادية » عند المفكرين الغربيين - . .

إن الإنسان المسلم ، بحكم إيمانه بتعدد عوالم هذا الكون وهذا الوجود . . وبحكم إيمانه بالكثرة والتعددية ، التي لا نستطيع كبشر حصرها فى أُم الخلقات وجماعاتها فى هذا الوجود ، وبحكم إيمانه بالتكليف والمسئولية التي تترتب على حمله الأمانة - كخليفة عن الله - الأمر الذى يقتضى حساباً وجزاء ، تنتفى بهما « العبيثية » عن هذا الوجود . . . إن هذا الإنسان - بحكم ذلك الإيمان - لا يقف بتطلعاته المعرفية عند عالم الشهادة هذا ، وإنما يتطلع أيضاً ، إلى ما

وراء هذا العالم ، ويتلخص معارفه لا تحتلها حواسه وحدها ولا نستقل بإدراك حقائقها . . . وهو يشعر ، بسبب من تجاوزه إطار الدنيوية المحدود . بأن سعاده - الدنيوية والأخروية - مرهوبة بشكامل معارفه - ولو على نحو ما - عن الكثير من مبادئ المعرفة ومصادرها . . . وهنا تأتي الرسالات السماوية بما تقدم من مصادر للمعرفة غير مادية لتبلى تطلعات هذا الإنسان

نلك هي المطلقات الإيمانية التي جعلت للمذهبية الإسلامية في مصادر المعرفة نهجا متبعا عن ذلك الذي ساد لدى المفكرين الوضعيين الغربيين

ولذلك وحدنا هذه المذهبية الإسلامية لا تقف بمصادر المعرفة عند « المنهج التجريبي » وحده . . . إنها لم تهمله ولم تغض عن شأنه ولا من شأن ثمراته المعرفية ، بل إنه أحد أبداعات حضارتها الإسلامية . فيها تنور . وأعطي ثمراته . قبل أن يشغل ويتطور لدى الغربيين . . . إنها لا تهمله . ولكنها لا تقول بوحدايته كسبيل للمعارف الإنسانية الیقينية . . . وإنما هي تعتمد معه :

أ. المنهج الاستنباطي :

ذلك الذي يستنبط به الإنسان من اجزئيات المادية معارف تقض بضرورة وجود غير مادي

إن العقل المسلم عند ما ينظر في آيات الكون - وخصائصه المادية ،

والنظام المحكم الذي يحكم كل من وما ، فيه لا تغف معارفه
المستبطنة عندما هو مادي منها ، تستقل حواسه بإدراكها ، وإنما هو
يدرك ، بيقينا ، ضرورة وجود غير مادي . مفارق لهذا العالم المادي
هو الذي مسحه الوجود والنظام والانتظام .

ب. المنهج التاريخي :

الذي يستدل به الإنسان . بواسطة التواتر المنطقي ، على وجود
مادي تاريخي لم تشهد حواسه . ومع ذلك فإن هذه الحواس تبلغ
في التصديق بوجوده مرتبة اليقين .

ج. المنهج السمعي :

ذلك الذي يكون الوحي الإلهي - البلاغ القرآني - والمسة
النسوية - البيان النبوي لهذا البلاغ القرآني - مصدر علومه
ومعارفه . . . فهذا المنهج السمعي يدرك الإنسان المعارف المتاحة
عن عالم الغيب ، غير المادي ، والذي يستحيل إدراكه بالأدوات
المادية للإدراك . . . كما يدرك المعارف التي تعين العقل على
إدراك ما لا يستقل بإدراكه ، وتساعد الحواس على وعي ما لا
تنفرد بوعيه . . .

وليس أمر هذه المعارف - التي تتحصل للإنسان بالمنهج
السمعي - ليس أمرها في الصدق واليقين بأقل ما يكون الحال
عليه في معارف المنهج التجريبي . كما حسب وبحسب ذلك

العربيون الذين رأوها « خبالاً - وميثاقاً » لا ترقى إلى مرتبة
اليقين . . . ليس أمر هذه المعارف وحفظها من البصر على هذا
النحو من التواضع والتدنى . . . بل إن الأمر ربما كان على
المنقضى من تصور العربيين لهذا الموضوع . . . موضوع غيبية
المعارف المتحولة بواسطة المذهب السعوى

فالمذهب السعوى . إذا اكتشفت المفاهيم الثقلية لصناد معارفه ،
واحتسعت شروط الصحة مأثوراته ، وراية ودراسة . . . فإن
أصحاب العقل المأمون للمعارف المتحصلة . . . سيطر أكثر من
تلك المتحصلة بحوزة الإنسان . . . فممنوع من . . .
خير مصدره فباحث العلم المطلق (المعقد) ومن خير مصدره علم
العالم المخلوق المفسر والإمكانات . . . ومعارف العظماء من حتم
المذهبيوم وتحرير الخطأ

ولقد يتساءل الذين يشككون في هذه الحقيقة

أثنى للإنسان الذى يدرك ما حواس المادية . ويعقل بعقله . أن
يتقن تعارف مصدرها غير مادية . ولا يستطيع الأدوات المادية
لإنسان أن يختبر مسبقاً ويتحقق من جهة يقينها .^{٩٩}

وإذا يكون تكليف الإنسان - وهذا حاله - بالتصديق اليقيني
بمعارف لا يستطيع أدواته المادية اختبارها . . . لئلا من ألوان التكليف
تتلائم .^{١٠٠}

كل شروط اليقين الذى يتطلع إليه العقل الإنسانى ويتطلبه فى المعارف اليقينية . .

نلك هى مطلقات المذهبية الإسلامية فى النظر إلى مناهج المعرفة . وذلك هو طريقها المنمى فى اعتماد المنهج السمعى واحداً من المناهج التى تنمى المعارف الصادقة واليقينية فى النسق الفكرى الذى ساد فى حضارة الإسلام . . وبهذا المنهج غدت السنة النبوية - ومن قبلها القرآن الكريم - مصدراً للمعرفة ، والمعرفة اليقينية ، فى مذهبية الإسلام



❖ القرآن والسُّنة . . أو . . البلاغ . . والبيان ❖

القرآن الكريم . هو كلام الله . ووضعه . وكلامه الذي أحكمت آياته . وبلاغه المبين . على لسان رسوله محمد بن عبدالله ﷺ إلى العالمين . هو وحى الله إلى رسوله ومعجزة التحدى وأية صدق هذا الرسول . وهو . نقديس أرفى مستويات المنهج السمعى ، المصدر الذي لا يدانيه سواه . إن فى الإعجاز المتحدى ، أو فى الحجة المعجزة ، أو فى توثيق الرواية . أو فى عقلانية الدعاية . أو فى التعهد الإنهى نه بالحفظ . وبعدم تعديل ما فيه من كلمات . وبالتقطع بأن الساطل لا يأتيه من أى لحد

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »^(١١) . . . وإذا نتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا لئن كان غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم »^(١٢) . . . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم »^(١٣) . . . وقال ما أوحى إليك من كتاب ربك لا

مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً (٢٢) (٢٣) إن الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز (٢٤) لا تأتيه الساطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٢٥)

ولقد كان تطاول القرون التي اقتربت من الخمسة عشر حتى
الآن - شاهداً على صدق هذا الوعد الإلهي بالحفظ وعدم
التبدل ، وعلى الساطل ، ومعجراً جديداً ، ودائماً يشهد على أن
هذا القرآن الكريم ، في مصادر المعرفة ، أعلى درجات الصدق
والشفقة واليقين ، وذلك فصلاً عن دلائل صدقه المستمدة من
أدلة إعجازه الأخيرة ، التي لا مجال للحديث عنها في هذه
الإشارة ، بهذا المقام .

ولقد كانت مهمة الرسول (ص) وهو الذي بلغت دعواه الرسالة
بهذه القرآن المعجز قمة اليقين المعرفي كانت مهمة الرسول :

١ - البلاغ بهذا القرآن الكريم ، وهي مهمة جاءت الأمر بها في
كثير من آيات هذا القرآن ، ينطق «بلاغ» ومشتقاته ، واللفظ
أخرى تحمل ذات التصوي ، مضمون «بلاغ» هذا القرآن الكريم إلى
العالمين . ولقد نهض رسول الله (ص) بهذه المهمة ، فبلغ الرسالة ،
وأشهد على ذلك الله والناموس جميعاً ، ما أنها الرسول بلغ ما

أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴿١١﴾

ب والبيان لهذا البلاغ القرآني: وذلك بتفصيل مجمله . . . وتفصيل إشاراته . . . والبسط لكلياته . . . والتخصيص لعمامة . . . والتفصيل لمطلقه . . . ووضع الضوابط الثمينة على التمييز بين أحكامه ومشابهه . . . وأيضاً بنقطة الشعائر والفرائض والمناسك ، وبيان مفاديرها وشروطها وأركانها وأنصتها ومصادرها ومصارفها وهباتها . إلخ . إلخ . تم صياغة المقاصد الشرعية الكلية قوانين تحكم واقع الأمة وعلاقات أبنائها ، وتصبغها بصغة الله . إلخ . إلخ .

تلك كانت المهمة الثانية من مهام الرسالة المهمة التي أنزلت للبلاغ القرآني . ولقد أحجزها الرسول ﷺ . وكان فيها الغالب ما فرحة عليه الله . . . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يشكرون ﴿١٢﴾ . لا وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿١٣﴾

ج والتجسيد العملي لرسالة الله تعالى: عقيدة وسريعة وقيم وأخلاق ، التجسيد العملي لها . التحرية النبوية . والتطبيق النبوي

معالم المنهج الإسلامي ، والذي وضع الفكر القرآني في المقابلة
والتطبيق ، وأحال المنهج الرباني بناء معاشاً في الحياة . نتجقت من
حواله إبداعات المسلمين ، المصطفعة بصيغته الربانية . في شكل
علوم وفنون ، وأبنية مدنية . هي تلك التي مثلت حضارة الإسلام .

والإسلام لم ينف ، في الرسالة المحمدية ، عند حدود السلاج
القرآني ، ولا المبادئ النورية المعنوية . سراج القرآني ، لأنه لو
يكن مجرد مذهب ، أو حلقة فكرية ، أو وصايا يودعها الرسول أمانة
لدى عدد من الخواريين . . وإنما كان . عبر التحرية النورية ، بناء
حياتياً معاشاً . في الممارسة والسلوك والدونة والعلاقات . . لقد
عدا صنعة الله التي صنعت الواقع والأمة والفكر ، حضارة
فكان القرآن - السلاج - المور جسمه الشئ السوية - بالبيان
النظري والتجسيد التطبيقي - كياناً حياً يحيا به المسلمون ، ويحيا
في هؤلاء المسلمين !

تلك هي الشئ السوية ، في مفهوم كتاب هذه الصفحات .
وتلك هي مكانتها - كمصدر للمعرفة - من القرآن ، أول وأوثق
مصادر المعرفة السمعية اليقينية في حياة الإسلام والنسق الفكري
للمسلمين .

ولذلك ، فإنه يحكم ضمور السلاج القرآني لتعود عالمي العيب
والشهادة ، وجميعه للمبادئ والكماليات والوصايا والتوجيهات

والضوابط الهادية والموجهة والمرشدة وأحكامها لكافة مناحي الحياة الإنسانية .. ووفائه - باعتبار كتاب الرسالة أخاقة وأخالدة - بالإجابة على علامات الاستعظام الإنسانية عن البعد، والحكمة .. والتاريخ .. والواقع .. والمستقبل .. والمنتهى والمصير .. وعن المعانيير في كل ذلك .. بحكم شمول البلاغ القرآني ووفائه - كمصدر المعرفة الإسلامية الأول - لكل هذه العوالم والميادين .. كانت السلسلة السيرة - بحكم كونها البيان العملي - من الفكر والتفكير بهذا النزاع المزمع - مصدر لمعرفة ليقينية في كل ميادين ومناحي هذا البلاغ القرآني

إن السلسلة - في عرفتنا التعوي - هي الطريقة - وهي عرفنا الضمعي - هي ما صدر عن رسول الله ﷺ غير القول - من قول - هو الحديث - أو فعل أو تقرير

ومع صدق ودقة هذا التعريف - فإن مقاصد هذا البحث - تعمل لتعريف السلسلة هذا تبعاً لتتسق مع هذه المقاصد - فمراها - منهج النبوة - المنطوق - والعملي - الذي حشد البلاغ القرآني - وأحوال كلمات الله وفعلا وحضارة بحبه هذا الناس الذين آمنوا بهذا البلاغ .. ومن هنا تأتى مكانتها كمصدر للمعرفة - تستمد صدقها - بعد اجتماع شروط الصدق في الرواية والدراية - من صلتها بالقرآن فصداق بالإعجاز .. إن إطار هذه السلسلة - كبيان للبلاغ القرآني - يحتمل أن يكون لها في هذا البلاغ معنى أو معنى .. وهي

بذلك قد عُدت وتعدو المصدر السوى للبيان النبوي ، بلاغاً
كان هذا البيان النبوي أو اجتهاداً نبوياً أقره بلاغ القرآن .

وبهذا المعنى لعلاقة الشئنة النبوية بالقرآن الكريم . . . وفي إطار
موقف المذهبية الإسلامية من المنهج السماعي ، فإن المسلم المتمسك
في هذه الشئنة ومنها - كمصدر للمعرفة :

أ - مصدراً لمعرفة أسباب نزول البلاغ القرآني وشوحي الإنشائي
على رسول الله ﷺ . مما يثله ذلك من علم يقتضيه القرآن ،
ووعى بحكمة التشريع ، وعون على مواكبة هذا التشريع بالتغيير عبر
الزمان والمكان .

ب - ومصدراً لمعرفة التاريخ السياسي ، الاجتماعي ، الاقتصادي
والجغري ، والأدبي للتجربة الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، وعنى
التي حوّلت البلاغ القرآني والبيان السوى إلى كتاب أحسد على حي
ومجتمع إنساني وبداء حضري معاصر .

ج - ومصدراً للتفويض التي وقف القرآن عند أصولها ، ومنها
تعليم التمييز بين الحرام والحلال والأركان والأصول وبين الشروع
والمستعيرات . التي تقوم وتنمو وتتحدد على هذه القواعد والأصول ،
مرتبطة بها . ومتشعبة بتفصيلاتها . وفي ذات الوقت مظلمة
لمساحات جديدة من الوقائع والمشكلات .

د - ومصدراً لأسبغية وهياكل الدولة الإسلامية التي أقامها

المسلمون حماية الدعوة ونصرتها... وهي أخرى - مع ما يدلها -
 مثل نماذج «لواجبات المدنية» التي اقتضتها «الواجبات الدينية» ،
 فاكتملت صيغة الواجبات الإسلامية وأهميتها ، حتى دون أن - د -
 لتدريج لم يصحح به وجه في تدريج أخرى

هـ - مصدراً للتشريع النبوي والشرع الثاني في السنة ، سواء
 ما كان منه التفصيل بحسب القرآن ، أو ما كان منه أجزاؤه ، لا
 أخرى - وهي السنة - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 من ما أفرد - أخرى - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 وهي - مصدراً للتشريع النبوي والشرع الثاني في السنة ، سواء

و - مصدراً للتشريع - من المصادر النبوية في السنة
 السنة - تدريج - ما أفرد - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 المتغيرات - الدينية - التي يجب فيها التزام المصالحات الدولية
 الطوائف - وأيضاً الشريعة من - السنة - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 المتغيرات - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى

ز - مصدراً للتشريع من - لا يستقر - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 الخمس والخمس - وفي تشريع - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 وفي شريعة أخرى - مصدراً للتشريع - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 سنون الداء - المؤكدة - نصير - من هذا - لا يوجد - سوى
 بإذرائها - حسب وفيه - وعلم أن نحن لها في إطار صريح النص

كل هذه المعارف - وغيرها بما مثلهما كثير - تنهض الشئ النبوية ، في النسق الفكري الإسلامي ، ووفقاً لنوع المذهب السني ، مصدراً للمعرفة الـفـيـسـيـة في عبادتها . بل إن صحيح هذه الشئ ، الذي اجتمعت له شروط الصدق - من حيث الرواية والدراية - هو كنز للمعارف الإسلامية ، شديد الغنى وعظيم الثراء وجم الفوائد ، كان ولا يزال وسيظل منبع النور المكتسبة للملاحق لمنهج النبوة الرباني . في تطبيقه حياته الحية . . . وهو المنهج الناعل في أي جهد جاد ، لحل الإحـد ، والتـجـديـد ، والتـنـويع ، حياة الأمة . عندما تتراجع تصوراتها وتطبيقاتها عن معايير ومعاليم هذا المنهج ، فتعدو على إسلامية فكرها وواقعها عوامل الانحراف .

هذا ، تصيح الشئ ، الكاشفة عن معالم منهج النبوة ، مصدراً عند المعرفة المحددة لفكر الإسلام وإدراك المسلمين

هذا عن مكانة الشئ النبوية كمصدر للمعرفة في منهج الإسلام .



نماذج شاهدة

وإذا شئنا نماذج شاهدة - أو غير الأقل أصالة لها - تؤكد صدق
الذي ذهبنا ونذهب إليه هذه الصفحات . فإننا واجدون في عوالم
المعارف التي مضمونها الشئ السوية . شريعة المشهور ، والتي
تعد من فغلب واقعا بعينه الأمانة وثمة صدق عظم هذا الإسلام
وحتى الآن وإلى ما شاء الله . إننا واجدون في عوالم معارف هذا
المصدر النبوي ما يشهد على أن هذا هو مكانها من عوالم معارفه
المصدر الإسلامي الأول القرآن الكريم . مكان المكان النبوي
من « السلاخ الإنجيل »

وعلى سبيل المثال

● فالقرآن الكريم يشير في قصيدة « بدء الخلق » ، على الذي بدأ
به الله سبحانه وتعالى . « حدثت أمم من العالمين »
الفرغيت وعبداء غير الله . « قل سمعوا في الأرض فالظلمة كسب
بدأ الخلق »^(١) . « الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق
الإنسان من طين »^(٢) . « قل هي من أمركم من بدأ الخلق »

(١) المكنون ٢٠

(٢) السجدة ٢٧

بعبادة قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني لآزف أن أبعثهم^{١١} . كما
يسجد القرآن الكريم على أن أحدا من هؤلاء المكذبين لم ينهه
«بدء الخلق» حتى يكون له علم به أو فيه .^{١٢} ما أشهدتهم خلق
السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المسلمين
عصدا^{١٣} .

وإذا تأملت هذه الإلهامات القرآنية التي «بدء الخلق» في التفسير
الموضح للمعرفة الإنسانية عن هذا الأمر الذي لم ينهه سوى
الخالق سبحانه وتعالي . فقد مثلت السنة النبوية مصدرا للمعرفة
الذي أتاح لنا طرق من الحديث والعلم عن صورة الإنسان الذي
خلقه بأمره في أحسن تقويم . فعني «البحار» من حديث
عمران ابن حصين يقول الرضا عليه السلام «كان الله عز وجل يخلق
شيء غير ذلك وكان عروضة على ما . فثبت في الذكر كل شيء .
وخلق السموات والأرض . وفيه كذلك من حديث عمر
أنه فبينما نسي من مقام فأخبره عن بدء الخلق . حتى دخل
أهل الجنة منازلهم . أهل النار منازلهم . حفظت ما من حفظه
ونسيت ما نسيت»^{١٤}

١١ - سورة القصص الآية ٢٨ .
١٢ - سورة القصص الآية ٢٨ .
١٣ - سورة القصص الآية ٢٨ .
١٤ - سورة القصص الآية ٢٨ .

فمن هذا المصدر النبوي ، وتبعاً للمصدر القرآني عرفنا ونعرفه طرفاً من خبر بدء الخلق ، الأمر الذي أتاح لنا تصور الحلال الذي اختص به ، مثلاً ، خلق الإنسان . حتى لقد أمر ملائكته بالسجود له . . بينما وحدنا هذه الصورة ، لدى العلم الغربي ، الذي رقص الملجح السمعي ، هي صورة الحيوان البدائي والهمجي !

● وتاريخ عالم بسجله ويحفظه التاريخ ، تلك الذي بادت آثار أهله ومعالم مجتمعاتهم . أو سقت حقبة قدرة الإنسان على صنع الآثار الباقية . هذا التاريخ عن الألف السابعة والخصارات البائدة تحده . وعن تلك البساتين في التربة الكبرى . من ذرى القرون إلى عباد وتسود وأهل مدين . وقدى ومراض وأحبار الأنساء والزمان السابقين . . وإذا كانت هذه «الإنسان التاريخية» هي القدر المتيقن من ذلك التاريخ . فإننا وإحدون في نسمة النبوية طرفاً من المعارف فيها بعض التفصيل لما في السلاع القرآني عن إشارات لذلك التاريخ .

● وواقع الجاهلية التي أخرج الإسلام أمتها من ظلماتها إلى نور الإسلام - وهو واقع جملة شريعة عشت عليها الأمة . فكانت فتيرة في أدوات التدوين لتاريخ مجتمعاتهم - هذا الواقع جاهلي - في عاداته وشكائده وأعرافه - في أدبياته وفنونه ومساكنه - في تشرده القسلي وعلاقات قسده من حده . من الدول والشعوب - في مكانة بنياديه . وأبوح الترح ، وعلاقات الرجال بالنساء . في خلال الخدم في نطاق الإنتاج وعلاقاتهم

العلاقات الدولية ، والمعايير التي حكمتها . . . ففي هذه السُّنة
 السنوية . قبل غيرها ، وأكثر من غيرها - بل وربما دون غيرها -
 ستجد ديوان المعارف ومصدرها ، الذي تعرف به وتعرف صورة
 الخضر والبيد . وماذا كانت تعنى الهجرة في التطور من
 التعرب والبداوة إلى التمدن والحضارة . . وكيف كانت
 الثورتى . وبدايات مؤسساتها . والتراتيب الإدارية
 والخبائى والبرجانية والمكاتب . والولاية والولايات
 والعمارات . . . بصورة زاهية ولامعة صادقة كما رآهم
 وضع مؤرخها الإسلام . والأموال وخراج . . الحج . الحج
 فهي فى هذه الميادين ، وما ماتلها ، أوثق وأعنى مصداق المعرفة
 للثلاثة ، والاحتشام على السواء .

● وإذا كان لصلاح العربى قد حصد مكنته رسالة احكامه الخالدة
 فى عقد رسالات الإنجيلية ليعلم . مكانة تصديق فى الاعتقاد
 الدينى الواحد - ألا وأبداً - . والمهيمن على الشريعة المتعبرة
 باختلاف ان رسالات

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما
 وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقبسوا الدين ولا تكن قوماً
 فيده » . وأرسلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من

الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم
عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاج ولو شاء الله
لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الصّورات
إلى الله من جماعتكم سميع عليم بما كنتم فيه تختلفون

إذا كانت هذه هي مكانة الرسالة الخاتمة ، غنيّة ، سريعة ، من
هذه الرسائل السماوية وسلطانها ، هناك في النسخة السوية
وهي الرسالة التي بعد السلام ثم في الكتاب من المعاني التي
تستطيع أن تستفيد من هذا الموضوع

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول رسول الله - ﷺ -
بسم الأسماء من صلاتك تفضل جليل في بيادك عليه وأحد
إلا موضوع منه من الآية من رواية - فجعل "السر يظنون"
ويحدث منه ويقولون "هذا" أي بيادك أحسن من هذا إلا موضوع
هذه الآية ، وكانت هذه الآية

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه - يقول - قال رسول الله - ﷺ -
عشت أنتم حصى الخندق

من هذا وأما من أبي عبد الله عليه السلام في حديثه عن علقمة

الكتاب ١٤٥

١٢١ - قال الحسن بن سعيد ، عن أبيه عن حماد بن عمار عن أبيه

١٣١ - قال مالك بن أنس

المسلمين بأهل الكتاب ، في داخل المجتمع الإسلامي الناسي
والدولة الإسلامية الوليدة ، ومع الدول والمجتمعات الكتابية المحيطة
- وهي هذه التطبيقات - حر ، من السنة النبوية - إننا واحدون
فيها كثيراً غنياً من المعارف ، لا سبيل إلى تصديدها في مصدر آخر
من مصادر هذا الباب وذلك التاريخ

● وإذا كان البلاغ القرآني يعلمنا ، فمن ما يعلمنا - المذهب
الإسلامي المتميز في أمر السنن والقوانين المودعة في ظواهر
السنن والقوانين - وهو مذهب السنن والقوانين
السنن والقوانين في المساجد المودعة فيها ، مع الإيمان بأن هذه
السنن والقوانين ، مثلها مثل الظواهر والقوى التي أودعت فيها ،
حبيبتها بحقيقة كل حقيقتها وحل فيها هذه السنن والقوانين
الفاعلة - فمنها المذهب والنظر هو حسن الله وإرادته ، وله
سبحانه القدرة على الهدف وحرقه لا غير المعتد بحسن هذه
السنن والقوانين إذا أراد إظهار إعجاز يؤيد به رسوله أو يتحدث به
من لا يحضونه بالآلهية والربوبية

هذا ما يعلمنا إياه البلاغ القرآني عندما تشير آيات منه إلى سنن
الله في الكون والوجود والضيعة والإنسان والمجتمعات

و يريد أن نعلم على الدين استنعتوا في الأرض وجعلهم الله
وجعلهم الأولين (١) وسكن لهم في الأرض ولهم فرعون

وهامان وحنودهما منهم ما كانوا يحذرون ^{١١} . . . إن
 الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ^{١٢} .
 وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فلنك مساكينهم لم تسكن
 من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ^{١٣} . وما كان ربك مهلك
 القرى حتى يبعث في أمها رسولا ينذر عليها آياتنا وما كنا مهلكي
 القرى إلا وأهلها ظالمون ^{١٤} . وإذا أردنا أن نهلك قرية
 أمرنا متريها فتفسدوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ^{١٥} .
 تلك بعض من آيات التوراة التي أتت إلى بعض
 من بني نوح في جماعات وشماعات . وعني هذه الآيات
 حد السوء لقرية كبر المعصية التي تعني تدمير الإنسان
 في هذا الميدان .

«ما ظنهم الغفلون في قوم إلا اتقى الله في قلوبهم الرعب ، ولا
 فشا الرنا في قوم ، إلا وكثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم التكيا
 والميزان إلا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشى
 فيهم الدم ، ولا حتر قوم بالعيب إلا سلق عليهم العدو» ^{١٥} .

(١) . الخصال . ١٢٨

(٢) . التوراة . ١٢٨

(٣) . الخصال . ١٢٨

(٤) . الخصال . ١٢٨

(٥) . رواد الإمام مالك في الحديث

«لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْتَهُرُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَنَلْتَأَخِذْنَ عَلَىٰ يَدِ الظَّالِمِ .
وَلَتَأْخُذُنَّهُ عَلَىٰ اخْتِقِ أَضَىٰ» . أَوْ لَيُصْرِفَنَّ اللَّهُ بِعَصَاكَ بَعْضُكُمْ ، ثُمَّ
تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(١١) . . . «إِذَا رَأَيْتُمُ الظَّالِمَ فَلِمَ تَأْخُذُوا عَلَيْهِ
بِيَدِهِ يَوْشِكُ اللَّهُ أَنْ يَعْصِبَكُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»^(١٢) . . . إِيَّاكُمْ وَالشَّيْءَ
فِيَانِهِ أَهْلًاكَ مِنْ كَرَمٍ مَسْجُودٍ . أَمْرُهُمْ بِالْحَقِّ فَتَخْلُفُوا ، وَأَمْرُهُم بِالظَّالِمِ
فَيُظْلَمُوا ، وَأَمْرُهُم بِالْمُسْلِمَةِ فَتَقْصَعُوا»^(١٣) . . . «لَا يَلْبَسُ الْخَوَرُ بَعْدَ بِيِ الْإِ
قْلِبَالِ حَتَّى يَطْلُعَ ، فَكُلُّهَا طَلَعٌ مِنَ الْخَوَرِ شَيْءٌ ، ذَهَبٌ مِنَ الْعَدَالِ
مِثْلُهُ . حَتَّى يُولَدَ فِي الْخَدْرِ مِنْ لَا يَعْرِفُ غَدَهُ ثُمَّ يَأْتِي اللَّهَ ، تَدَاكَ
وَتَعَالَى . بِالْعَدَالِ . كَيْفَ حَالٌ مِنَ الْعَدَالِ مِنْ ، ذَهَبٌ مِنَ الْخَدْرِ
مِثْلُهُ . حَتَّى يُولَدَ فِي الْعَدَالِ مِنْ لَا يَعْرِفُ غَدَهُ»^(١٤) . . . صَالِحٌ حَادِيكُمْ
بِئِ السَّمَانِ وَمِنْ اللَّهِ رَحِيمٌ . . . سَوَّلَ اللَّهُ لَكُمْ الْكُفْرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ
أَعْظَمُ شَرٍّ . كَمَا كَانَ لَكُمْ^(١٥)

- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَعْلَمُ

قَالَ حَادِيكُمْ فَمِنْ مَعْتَصِمٍ»

- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «السَّيْفُ»^(١٦)

(١١) رواه الترمذي وأبو داود ، رتبة أحمد

(١٢) رواه الترمذي

(١٣) رواه الإمام أحمد

(١٤) رواه الإمام أحمد

(١٥) رواه أبو داود والإمام أحمد

«إِذَا رَأَيْتُمْ عَلَيَّ نَهْشَ الْعَقَامِ أَوْ تَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ أَلَسَ طَائِلًا، فَصَدِّقْهُمْ»^(١)... ومن حديث ثوبان - مولى رسول الله - يقول **عليه السلام**: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَقْصَى كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِصْعِهَا» قال قلنا: يا رسول الله أمرُ قُلَّةٍ بِتِ يَوْمَئِذٍ؟! قال: أَسْمُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَكُنْ تَكُونُونَ عِشَاءَ كِفْشَاءِ السَّبِيلِ، يَسْتَرْجِعُ النِّهَايَةَ مِنْ قُنُوبِ عَمَلِكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ لَوْهًا قَالَ قُلْنَا وَمَا الْلَوْهُ؟^(٢) قَالَ: حُبُّ أَخِيَاةٍ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(٣). «مَنْ احْتَكَمَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ اللَّهِ نِعَالِي وَبَرَّئَ اللَّهُ نِعَالِي مِنْهُ». وَأَيُّهَا أَهْلُ عَرِصَةِ^(٤) أَصْبَحَ فِيهِمْ أَمْرٌ حَاجِعٌ فَقَدْ بَرَّثَ مِنْهُمْ دَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى^(٥)، «مِثْلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمِثْلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ»، يَهْتَدِي بِهَا فِي ظُلُمَاتِ السَّمْرِ وَالْحَبْرِ، بِرَأْسِ الْعُصْبَةِ الْحَبِيمِ يُرْسَلُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا^(٦).

لَمَّا كُنَّا نَسْتَلِمْ عَلَى أَهْلِهَا مِنْ مَعَارِفِهَا نَسْتَلِمْ عَلَى أَهْلِهَا الْمُسَوِيَّةِ - مَعَارِفِهَا لِمَنْ وَالْقَبِيلِ إِلَى أَهْلِهَا لَمْ نَأْذَنْهَا فِي الْخِصَابِ وَالْمَجْتَمَعِ وَالْإِحْتِصَاعِ.

❖ وَإِذَا كَانَ اللَّهُ سَبْعَةَ وَبَعَثَ قَدْ جَعَلَ الْإِنْسَانَ تَحْلِيلَةً فِي

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه أبي داود، والإمام أحمد.

(٣) العريضة: الساحة، الفضاء، الذي لتحتفظه وتحمي نفسك.

(٤) رواه الإمام أحمد.

(٥) رواه الإمام أحمد.

استعمار هذا العالم الذي يعيش فيه ، وعلى امتداد الأفاق التي يبلغها سلطانه . . وإذا كان البلاغ القرآني قد حث هذا الإنسان على اليهودن اتهام الإحصاء هذه ، فتحدثت آياته فاية الإيمان العامل بالعمل المؤمن ، على نحو كاد أن يكون دائماً : « يا أيها الذين آمنوا إذا بردي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١٠) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله وادكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (١١) » فإذا فرغت فاصب (١٢) وإلى ذلك فارغب (١٣) .

إذا كانت هذه هي إرادة الله ، وهذا هو حديث البلاغ القرآني عن عمارة العالم الإنساني : « لا يرب العبد والعمل المؤمن » فإن البيان النبوي - الشئ - راحة - معارف التي تمثل البراءة التي لا يفسد في هذا الميدان . . فتحدثت العمل . . والآثار التي قست لأحياء الأرض وعمارتها . . هي ما لا ينسج له مقام . . بل إن تجربة بناء الاجتماع والاقصادي لدولة الإسلام الأولى هي التحسين العملي لهذا البيان النبوي في هذا الميدان . وفي حديث أبي هريرة ، يقول ﷺ : « خير لكم من أن يفسد يد العاقل إذا

(١١) المجموع ٩ - ١٠

(١٢) المجمع ١٠ - ١١

يصح^(١) . بل إن تعظيم العمل الإنساني يبلغ في السُّنة النبوية
المقام الذي ينحدر عنه حديث الرسول ﷺ ، الذي يرويه أنس
ابن مالك : «إذا قامت الساعة ، وبدا أحدكم فسيلة ، فإن استطاع
أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»^(٢) !

..... المعروف في هذا الموضع .
المعروف في هذا الموضع .

• وإذا كانت تعتمد، الإسلامية تأتي «العبادة» التي تروى في
هذه الحفاة لديها بحرية المضاف إلى الحياة والأحباء . وتجعل
من المبدأ السبع والخمسة والخمسة . في اليوم الأخير .
أشكال الإيمان . وقد كان السبع والخمسة . في اليوم الأخير .
إلى «السبع» في يوم من إقامته الحجة على سكرته : «وقالوا إن
هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمسلمين»^(٣) . «وعم الدين
كثروا أن لن يعترفوا بل يروى تسعون ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير»^(٤) . «ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة
إن الله سميع بصير»^(٥) . «إن الذين يشترون بعهد الله

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) الأنعام : ١٠٩ .

(٤) الشعراء : ١٠٩ .

(٥) الشعراء : ١٠٩ .

وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يرحمهم وإليه عذاب العذاب^(١١).

إذا كانت تلك إشارات إلى حديث السلاع القرآني عن «السمعة» وخبره ، فإن معارف الشئ السوية عن أئمة ، «السمعة» وصورة وأحوال الناس فيه ، هي المصدر الذي يحدد فيه المسلم ما يقرب صورة هذا الغيب ، على نحو ما ، إلى العقل المحدود لإنسان عالم الشهادة ، الذي توجه إليه الرسالة الإنجيلية بالسلاع وبالبيان .

ففي حديث أبي ذر ، يقول رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يرحمهم وإليه عذاب العذاب المسال^(١٢) ، والمنان ، والمنفق ساعته ياخلف الكاذب»^(١٣) . ثم علقه ، أيضا ، قال من الله تعالى : «ولا ينفع معلمه»^(١٤) .

هذا إلى ما قسمت كذا الشئ من صور تقرب للذهن الإنساني ، قدر الإمكان ، أحزاب شفع في الصور ، وأحداث ما بين التفخيتين ، وصورة خسر ، وفكاته ، وصورة الناس فيه ، وأحساب ، والميزان ، وأجزاء ، والشفعة ، ومن يُظنهم الله يوم

(١١) آل عمران : ٨٧

(١٢) التلويح به وسخول الجرح ، ثم لا ، لا حرج ، لا حرجية كذا

(١٣) روضة مسام

(١٤) روضة الدارمي

لا ظلُّ إلا ظنه .. إلخ .. إلخ .. إلخ . وعيها من المعارف المقبولة والمبصرة والمفسرة لإمزاك السلاخ القمرائ لهذا العالم الذي سنحبل على نعال التبريد إدراك كنه حقائقه . كما سنحبل على لغة التفسير أن تكون وعاء يفي بحمل ما في أسائه من مصائب .

لأن أمثلة لممدوح في هذه السلسلة السيرة كسيفه من مصائد المعاد . السبعة في السير الثماني للإسلام . وهي إن وقتب هذا حديث . أمثلة . ما عدت تقدم ويحبر . فإنها مشهورة على صدق هذه السلسلة النبوية بهذه المهمة في فكر الإسلام وهي حصارة المسلمين

وأخيراً

فإن التماس الإنسان المسلم المعارف العديدة ، من المصادر والمبادئ المتعددة ، بواسطة الشُّعْبة النبوية ، إنما يفتح للعقل الإنساني الجديد والعديد من الآفاق ، وذلك دون أن يحد من قدرات وإمكانات وآفاق هذا العقل أو يقيد من طموحاته . . بل إن هذا المنهج الإسلامي ، الذي لا يقف - كالمنهج الغربي عند المنهج الحسي التجريبي - إنما يقوم - مع تهذيب غرور العقل - بتوجيهه إلى المبادئ الحقيقية التي نأهل لأن يدع فيها ، وذلك عندما يعلمه حقيقة عجزه عن الاستقلال بإدراك معارف عالم الغيب . . وكأنه - المنهج الإسلامي - يذكر العقل بالحقيقة الخالدة التي تقول : كل ميسر لما خُلق له !

كذلك ، فإن هذا المنهج الإسلامي ، الذي يجعل البلاغ القرآني ، وبيانه النبوي : مصدراً للمعرفة اليقينية في مبادئ عديدة - يكون في بعضها : مجرد حافز للعقل على النظر ، وحافظ له من تجاوز الحدود . . ويكون في بعضها : المعين والمؤازر . . ويكون في أخرى : المصدر الوحيد لمعرفة ما لا قبل للعقل بالخوض فيه .

إن هذا المنهج المتميز هو المحقق : تكامل المعرفة الإنسانية ، وذلك عندما يحقق للإنسان قدراً من معارف عالم الغيب ، إلى جانب زاده وزاد اجتهاداته من معارف عالم الشهادة . . وهذا التكامل هو الذي يحقق «التوازن المعرفي» للإنسان ، على النحو الذي ييسر له

«التوازن السلوكي» .. وبهما - التوازن المعرفي ، والتوازن السلوكي -
تتحقق «المعاني» و«الحكم» و«العلل الغائية» من وراء خلق
الإنسان ، واستخلافه عن الله ، سبحانه وتعالى ، في عمارة هذا
العالم .. فتنتفى - أو تفل - من حياته منغصات وأزمات «العبثية»
و«اللا أدبية» و«الطرق المغلقة» ، التي تأخذ بخناقفه في ظل
الحضارات المادية ، والتي قادت ودفعته - خارج منهج الإسلام
ووسطيته - إلى مستنقعات : «الشهوة الحيوانية» و«اللذة الأنية»
و«الأنانية المتعالية» و«النظرة العدمية» تجاه ما وراء عالم
المحسوسات .. فلم ينجح التقدم المادى الذى أحرزه فى إنقاذه من
القلق والقنوط والإحباط .. حتى لتصديق عليه الآية القرآنية التي
تتوعد فتقول : ﴿ كَلُوا وَامْتَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾ ^(١) .. وحتى
لكأنهم دهرىو العصر ، الفائلون : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ^(٢) !

هذا هو منهج الإسلام ، العاصم للإنسان من هذا المصير .. به
رأينا الشئبة النبوية مصدرًا للمعرفة ، تنهض بدورها إلى جانب
البلاغ القرآنى فى إثراء معارف الإنسان المسلم ، وإغناء النسق
الفكرى لحضارة الإسلام .

(١) «المرسلات : ٢٦»

(٢) «الحجرات : ٢٤»

الفهرس

٣	تمهيد
٥	بين منهجين
١٥	القرآن والسنة : أو : البلاغ . . والبيان
٢٣	نماذج مشاهدة
٣٧	وأخيرًا

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني . يستبدل العقل بالدين ،
ويقوم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي . لأن الله والقرآن
والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار . تصنع للمسلم تنويرا
إسلاميا متميزا .

ولتقدم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ،
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي ● د . محمد سليم العوا
- أ . فهمي هويدي ● د . يوسف القرضاوي
- د . سيد دسوقي ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيري ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر